الفصل الخامس

التليفزيون والسلوك العدوانى عند الأطفال

تمهيد :

أسباب السلوك العدوانى

أولا : الأدلة على علاقة العنف التليفزيونى بالسلوك العدوانى

١ - أدلة من الدراسات التجريبية .

٢ - أدلة من الدراسات على المواقف الطبيعية .

٣ - أدلة من الدراسات الطولية .

ثانيا : كيف يمكن أن تؤثر مشاهدة العنف التليفزيونى على نمو السلوك العدوانى عند الأطفال

علاقة مشاهد العنف التليفزيونية بالسلوك العدوانى من منظور معرفى خاص بمعالجة المعلومات

١ - الصور النمطية scripts

٢ - مشاهد العنف التليفزيونية ونظرية الصور النمطية scripts theory.

أ) العوامل الموقفية والبينية .

- مدى بروز مشهد العنف التليفزيونى .
- البيئة الأسرية .
- تعليقات الآخرين أثناء مشاهدة الطفل للتليفزيون .

ب) العوامل الشخصية

- الاستعدادات الشخصية للطفل
- تفسير المشهد العنيف
- الجنس

ثالثا : الاجراءات التى يمكن اتخاذها للحد من هذه المشكلة .

١ - الإدارات الإعلامية

٢ - الأباء

الفصل الخامس

التليفزيون والسلوك العدوانى عند الأطفال

تمهيد :

يمثل السلوك العدواني عند الأطفال مشكلة أكلينيكية واجتماعية هامة، فقد اتضح أن ما يقرب من ثلث أن لم يكن نصف الحالات النفسية التي تحول إلي العيادات النفسية الأكلينيكية للأطفال عبارة عن مشكلات نفسية تتضمن سلوك عدواني، ويتضح هذا بصورة واضحة في بعض المجتمعات الأجنبية وبخاصة المجتمع الأمريكي، فقد تبين طبقا للدليل التشخيصي للجمعية الأمريكية للطب النفسي أن ٩% من الأولاد و ٢% من البنات في الولايات المتحدة يعانون من اضطرابات سلوكية حادة وإن معظم هذه الأضطرابات سلوك عدواني (كازدن Kazdin ١٩٨٧) . والأطفال الذين يبدون أنواعا من السلوك الإندفاعي العدواني الطائش في حاجة إلي رعاية صحية عقلية واجتماعية كي لا يعرضوا أنفسهم أو غيرهم من الأطفال للأخطار ، لأن مثل هذا السلوك يعد مشكلة لها عواقب باهظة التكاليف بالنسبة للمجتمع .

ويمكن التعرف علي الطفل العدواني في مراحل مبكره من حياته وذلك من خلال ملاحظة طريقة سلوكه وتفاعله مع غيره من الناس كزملائه أو أصدقائه مثلا، ويقال أن كثيرا من هؤلاء الأطفال وبخاصة الذكور قد يظل محتفظا بنمطه العدواني من السلوك في تفاعله الإجتماعي مع الآخرين (فارنجتن Farrington ١٩٨٢) ، وقد تبين أن الأطفال في مرحلة الطفولة المبكرة (من سن ٣-٥ سنوات) الذين يظهرون مستوى شديد من الإندفاعية impulsivity وسرعة التهيج الانفعالي irritability وتصرفات عدوانيه من المحتمل كذلك أن تظهر لديهم أيضا مشكلات سلوكية في مرحلة الطفولة الوسطي (من سن ٦-٨سنوات) ، وقد ينخفض تحصيلهم الدراسي فيما بعد ، وكثيرا ما يكونون غير محبوبين من زملائهم ، وقد أتضح من

الدراسات أن مثل هؤلاء الأطفال عندما يصلون إلي مرحلة الرشد يكونون أكثر عرضة من غيرهم للانخراط في الأنشطة الإجرامية ويتسببون في مشكلات زوجية مع زوجاتهم وأيضا مع زملائهم في العمل في حياتهم العملية (كاسبي وزملاؤه Caspi et al ١٩٨٧) .

ويمكن رد السلوك العدواني والمضاد للمجتمع في معظم الحالات إلي مراحل الطفولة المبكرة ، وبعبارة أخرى : من النادر أن تجد رجلا ذو سلوك مضاد للمجتمع لم يكن طفلا عدوانياً ذو سلوك اندفاعي ، والخلاصة هي أن عدوانية الطفولة هي أحد المؤشرات الهامة لظهور العنف والسلوك المضاد للمجتمع في مرحلة المراهقة والرشد .

أسباب السلوك العدوانى :

أكد دولارد وزملاؤه Dollard et al (١٩٣٩) وكانوا من علماء جامعة "ييل" أن السلوك العدواني يسبقة دائما وجود إحباط عند الفرد، وإن الإحباط هو الذي يؤدي إلي العدوان ، ويحدث الإحباط في رأيهم عندما يتعرض الفرد لما يعترض سلوكه المقصود أو يعوقه عن إشباع حاجة أو رغبة، وتختلف شدة العدوان الناتجة عن الإحباط بإختلاف شدة الدافع المعاق وقوة العائق، وقد لا يظهر العدوان مباشرة عقب الإحباط لأن من الدروس الأولي التي يتعلمها الفرد في حياته هو أن يكبح جماح غضبه ولا يظهره في كل الحالات، ولا يعني هذا اختفاء العدوان بل قد يظهر بصور أخري، فهناك مثلا ما يعرف بابدال العدوان، ويشبه بعض علماء النفس عمل الإبدال في تخفيف التوتر الناتج عن الإحباط الشديد بعمل صمام الأمان في غلاية البخار، فعندما يزداد ضغط البخار من داخل الغلاية، يسرب الصمام البخار الزائد لحماية الغلاية من الإنفجار، كذلك الحال بالنسبة للشخص الغاضب المحبط، تضغط عليه انفعالاته من الداخل فيلجأ إلي الإبدال لتسريب بعضها في سلوك ما، فالطفل المحبط من والده ولا يستطيع التعبير عن غضبه ضده قد يسرب بعضا من غضبه في الأعتداء علي أخيه الصغير، والموظف المحبط من مديره في العمل قد يوجه عدوانه نحو زوجته فيحتد في نقاشة معها أو يعنف أحد أبناءه. وقد إستطاع ميللر Miller (١٩٤٨) أن يجعل فأراً يبدل عدوانه ، فعندما لم يستطيع أن يوجه هجومه نحو فأر آخر وجهه نحو دمية أطفال .

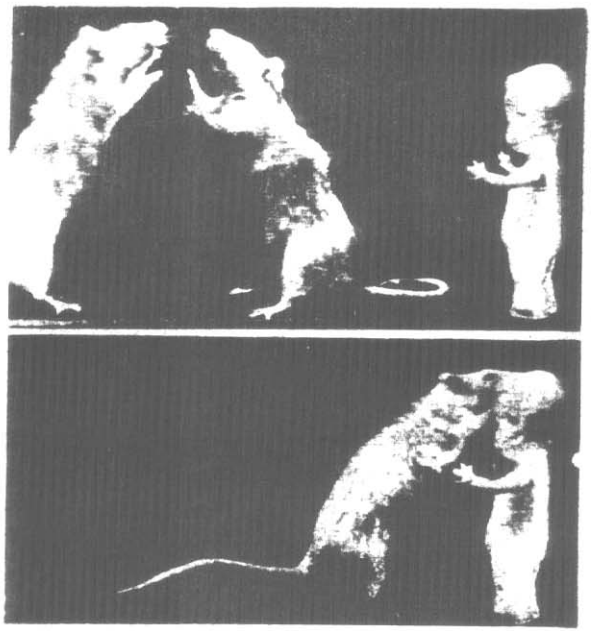

11–3
Displacement of a rat's aggression from another rat to a rubber doll. After being trained to strike the other rat to avoid shock, Miller's rat strikes at the doll when the other rat is removed. (Photos courtesy of Dr. N. E. Miller)

وفرض الإحباط – العدوان هذا هو أساس لما قد سمي بنظرية التحامل علـــي شخص ما بتحميلة خطايا غيره the scapegoat theory أو كبش الفداء ، وتفيـــد هذه النظرية بأن العيش في مجتمع منظم يشكل بالنسبة لبعض الناس خبره إحباطيـــة (بسبب إعاقة سلوكهم أو عدم قدراتهم علي إشباع حوائجهم باستمرار) ينتـــج عنـــها عدوان هائم مطلق يمكن أن يتعلق بأي موضـــوع free floating aggression،

وطبقا لنظرية دولارد وزملائه يمكن أن نصنف العوائق التي تسبب الإحباط عند الأطفال إلي فئات متعددة منها : عوائق إقتصادية كالفقر مثلا[1] الذي قد يحرم الأطفال من إشباع حاجاتهم نحو الطعام أو الحصول علي الملبس أو المأوي المناسبين ، وهناك أيضا عوائق شخصية ويقصد بها العوائق البدنية والنفسية .

ومواقف الإعاقة التي من هذا النوع كثيرة في حياة الأطفال ، فمن الأشياء التي يمكن أن تسبب لهم الإحباط شعورهم بالعجز عن تحقيق رغباتهم، وقد يكون عجزهم هذا سببه تدخل الكبار ومنعهم لهم من ممارسة انشطتهم المحببة، وقد يكون ناشئا عن عجز طبيعي في قدرات الطفل، فالطفل الذي لا يستطيع أن يساير زملائه في اللعب بسبب سوء تكيفه الإجتماعي أو لأنه مصاب بمرض أو عاهة تمنعه من مشاركتهم يكون عرضه للغضب المستمر الذي قد يتخذ أشكالا وصورا مختلفة، كما أن عدم تعود الطفل علي محاولة التغلب علي ما يعترضه من عوائق أو مشكلات يسبب له الشعور بالإحباط والغضب، ولذلك فمن الواجب إن نعلمه منذ صغره كيفية حل مشكلاته التي في مقدوره حلها بدلا من الغضب أو الهياج أو الشكوي، ومن العوامل التي يمكن أن تؤدي إلي شعور الطفل بالإحباط حرمانه من حب الوالدين وعطفهما بسبب ولاده طفل جديد في الأسرة يستحوذ علي اهتمامها ، وقد يدفعه هذا إلي العدوان الذي قد يظهر علي شكل عناد أو مشاكسه ، وهي أسلوب غير مباشر للتعبير عن العدوان .

ومن الأساليب غير المباشرة التي يمكن أن يظهر بها أيضا العدوان عند الأطفال ما يعرف بتكوين رد الفعل[2] ، ومثال هذا ما نشاهده من العطف البالغ الذي يبديه الطفل ذو الأربع أعوام علي أخيه الرضيع فيغرقه بالقبلات وفجأة تظهر حقيقة مشاعره فلا نسمع ألا صياح الرضيع ونتبين بعد لحظات أنه قرصة أو عضه رغم ما كان يحاول أن يبدية من عطف وحنان .

---

(١) لا يصح القول بأن الفقر يسبب جرائم العدوان طبقا لفرض الإحباط – العدوان ، لأن هذه الجرائم قد تنتشر في إحياء فقيرة دون أخري ، ويرجع هذا إلي العوامل التعلمية البيئية.

(٢) هو حاله نفسية دفاعية يهدف بها الإنسان إخفاء حقيقة مشاعره بإبداء عكس ما يعبر عنها بطريقة مبالغ فيها، مثل كثرة تحدث التاجر الذي يميل إلي الغش عن الأمانة وإظهار الموظف قلق بالغ علي صحة رئيسه في العمل وهو في الواقع يكرهه.

علي أن معظم الباحثين يرون أن وجود الإحباط وحده لا يكفي لظهور السلوك العدواني الذي غالبا ما ترجع أسبابه إلي تفاعل عدد من العوامل البيولوجية والتعلمية ، وتتوقف العوامل البيولوجية علي خصائص معينة في الجهاز العصبي والغدي للفرد وأيضا علي الحالة الصحية له ككائن حي ، فقد وجد العلماء مثلا أن حقن الفئران أو القطط أو الثعالب بهرمونات الجنس الذكرية أو تعريضها للالم كالحرارة الشديدة أوالضربات البدنية يجعلها تقاتل باستمرار، ومع أن الناس لا يردون علي الألم أو أي خبرات أخري بعدوان انعكاسي إلا أنهم يميلون إلي الشعور بالغضب وإيذاء الآخرين خاصة بعد عقاب بدني ، كما أن هناك مثلا أجهزة عصبية معينة في المخ تتحكم في بعض أنواع العدوان ، وقد يحدث تنشيط لهذه الأجهزة تحت تأثير أمراض معينة تسبب أورام أو تمزقات في أنسجة المخ. كما أتضح أن بعض جرائم العنف ترتبط أحيانا بشرب الخمر أو تناول العقاقير المخدرة أو الإصابة باضطرابات نفسية وعقلية .

أما العوامل التعلميه – كمسبب للعدوان – فيقصد بها تلك العمليات الخاصة بالتنشئة الأسرية والتعلم الإجتماعي المختلفة ، وهي تتضمن ما يتعلمه الطفل من سلوكيات من أبوية ومن زملائه وأصدقائه ومن هم في بيئته الإجتماعية عموما بوسائل التعلم المختلفة كالتعلم بالإرتباط الشرطي أو التقليد أو تدعيم سلوكه من الكبار أو الأقران في بيئته ، وقد تؤدي العوامل البيولوجية إلي وجود استعداد فطري عند الطفل نحو العدوان ، ومع هذا فإن خبرات التعلم الأولي هي التي تطبعه اجتماعيا نحو السلوك العدواني أو بعيدا عنه .

والأبوين هما المصدر الأساسي للتطبيع الإجتماعي لأطفالهما الصغار ، فقد يكون عند الطفل مثلا بسبب العوامل البيولوجية مزاج حاد عنيف واستعداد كبير نحو العدوان ومع هذا يتعلم من الأبوين كيف يضبط سلوكه العدواني ويوجهه وجهة بناءه ، وقد يتعلم الطفل ما هو عكس ذلك أيضا من الأبوين عندما يدعم سلوكه العدواني منهما، ومع نمو الطفل يتطبع اجتماعيا من مصادر أخري – إلي جانب الأسرة – كزملائه أو أقرباءه أو مدرسية وغيرهم من الكبار أو الصغار في بيئته الإجتماعية ، وللطفل ميل كبير إلي التقليد ، فكما يساعده التقليد علي تعلم اللغة يساعده ايضا علي تعلم الكثير من الإستجابات العدوانية التي يعبر بها عن انفعال

الغضب مثل : الامتناع عن الطعام ، مغادرة الغرفة أو المنزل ، دفع الباب بشدة ، تحطيم الأثاث ، استخدام ألفاظ السباب أو الإعتداء البدني وغير ذلك من أنماط سلوكية تصدر عن الآخرين في بيئته .

ويتعلم الأطفال أيضا عن طريق القدوه بعض الأستجابات العدوانية مما يشاهدونه من وسائل الإعلام المختلفة كالتليفزيون والسينما وألعاب الفيديو ، ومع هذا فالعلاقة بين مشاهدة الطفل للعنف التليفزيوني وظهور سلوكه العدواني هي علاقة معقدة، فليس كل طفل يري مشاهد العنف التليفزيوني يسلك بعدوانية، وإنما هناك شروط أخري لابد من توافرها كي يظهر هذا السلوك .

وسوف نبحث في هذا الفصل دور مشاهد العنف التليفزيونية في نمو السلوك العدواني لدي الأطفال ، وبالرغم من أن معظم البحوث التي سوف نعرضها هنا تركز علي مشاهد العنف التليفزيونية إلا أن بعض النتائج التي نناقشها أمكن التوصل إليها من دراسات استخدمت فيها وسائل إعلام أخري تؤدي نفس الغرض كالأفلام السينمائية والفيديو ، وسوف نضع في أعتبارنا الإجابة عن ثلاث تساؤلات رئيسية هي :

أولا : ماهي الأدلة البحثية التي تبين وجود أرتباط بين مشاهده العنف التليفزيوني والسلوك العدوانبي ؟

ثانيا : ما هي بالضبط العمليات المعرفية التي تجعل الطفل الذي يشاهد العنف التليفزيوني يسلك – سلوكا عدوانيا ؟ وكيف يحدث ذلك ؟

ثالثا : ماهي الإجراءات التي يمكن إتخاذها للحد من هذه المشكلة ؟ أو كيف يمكن للجهات المسئولة أو الأباء أن يتدخلوا ليخففوا من تأثير مشاهد العنف التليفزيونية علي الطفل كي لا يظهر لديه سلوكا عدوانيا ؟

اولا : الأدلة على علاقة العنف التليفزيونى بالسلوك العدوانى :

منذ ظهور التليفزيون منذ حوالي ٥٠ سنة تقريبا أصبح هناك اهتمام متزايد حول أثاره السلبية علي عمليات التطبيع الإجتماعي للأطفال ، وأكثر هذه الآثار السلبية خطرا هو السلوك العدواني ، وقد أكدت هستن وزملاؤها Huston et al

(١٩٩٢) - وهي استاذة دكتوره تعمل في مجموعة " التليفزيون والمجتمع للجمعية الأمريكية لعلم النفس" - علي وجود علاقة بين مشاهد العنف التليفزيونية والسلوك العدواني ، وقد سبق أن توصلت لجان علمية استشارية تابعة للكونجرس الأمريكي وفي المعهد القومي الأمريكي للصحة العقلية إلي ما يفيد بوجود مثل هذه العلاقة،كما أجريت العديد من الدراسات في كندا وبعض البلدان الأوربية في هذا الصدد (باكر وبال Baker & Ball ١٩٦٩) .

ولا يتسع هنا المقام لعرض نتائج هذه الدراسات ، ونكتفي بتقرير ثلاث نقاط أساسية في هذا الشأن : الأولي أنه لا يصح تعميم نتائج الدراسات التي أجريت في معامل علم النفس (أي المعملية) علي مواقف الحياة الطبيعية ، وهي حقيقة معروفة جيدا في علم النفس التجريبي ، أما الثانية فهي أنه يكاد أن يكون هناك اتفاق بين الباحثين علي أن مشاهدة العنف التليفزيوني هي فقط واحده من بين الأسباب العديدة التي يمكن أن تؤدي إلي السلوك العدواني (هستن وزملاؤها ١٩٩٢) ، أما النقطة الثالثة فهي أن المشاهده المتكررة للعنف التليفزيوني في مراحل الطفولة هي أشد أثرا في ظهور أنماط ثابتة من السلوك العدواني عنه في مراحل النمو الأخرى في حياة الإنسان .

وسوف نقدم في هذا الفصل عرضا مختصرا يبين الدليل علي وجود صله بين مشاهدة العنف التليفزيوني والسلوك العدواني وذلك بواسطة عدة دراسات استخدمت فيها عينات وطرائق بحث علميه مختلفة، وليست هناك طريقة تعد نموذجية لدراسة هذه الصلة، ولكن مع هذا تميل نتائج الكم الهائل من الدراسات التي أجريت في الثلاثين سنة الأخيرة إلي الإلتقاء عند نقطة واحدة إلا وهي : تأييد الفرض العلمي الذي يقول بأن التعرض المتكرر لمشاهد العنف التليفزيوني يسهل ظهور السلوك العدواني .

١- أدلة من الدراسات التجريبية :

يمكن للباحث في الدراسة التجريبية أو المعملية النموذجية أن يقوم بضبط كمية العنف المشاهد ، بأن يحضر مثلا مجموعتين من الأطفال إلي المعمل : إحداهما تشاهد فيلما تليفزيونيا عنيفا لمدة ٣٠ دقيقة عددا من المرات في الأسبوع ، بينما

تشاهد المجموعة الأخري في نفس المده الزمنية أفلاما تليفزيونية ليس بها عنف، هذا مع محاولة المماثلة بين المجموعتين (التجريبية والضابطة) في المتغيرات الأخرى التي يمكن أن تؤثر علي السلوك العدواني كالمستوي الاقتصادى والاجتماعى والثقافي والسن وعمل غير ذلك من إجراءات الضبط التجريبي المعروفة في علم النفس لضمان الدقة المنهجية، وقد أظهرت الدراسات التي من هذا النوع علي الدوام أن تكرار رؤية الأطفال والمراهقين لمشاهدة العنف التليفزيوني يترتب عنها زيادة سلوكهم العدواني بصفة عامة (أيفرا Evra ١٩٩٨).

ومن المعروف أن السلوك العدواني له أشكال متعددة ، فهنالك العدوان اللفظي والبدني والعدوان غير المباشر والخلفة والعدوان نحو الذات ، وتختلف طرق قياس أي من هذه الأنواع حسب ظروف الدراسة ، ويقدر العدوان بصفه عامة في الدراسات التجريبية في معامل علم النفس بوسائل متعددة مثل : شدة إستجابة المفحوص أو عدد الصدمات الكهربائية التي يوجهها نحو خصم ما علي جهاز معين وغير ذلك ، وفي دراسات مشاهد العنف التليفزيوني كانت مجموعة الأطفال التي تعرضت لرؤية هذا العنف توجه عدوانا أكبر نحو الأطفال الآخرين أو الأشياء المادية مثل البلاستيك المنفوخ أو الدمي حيث كانوا يركلونها ويضربونها بشدة أكبر من مجموعة الأطفال التي لم تتعرض لرؤية هذا العنف وذلك عندما يطلب منها ذلك ، وهذا العدوان الذي أبداه الأطفال ليس ببساطة هو مجرد تقليد لما شاهدوه من عنف لأن الأطفال كانوا يبدون سلوكا عدوانيا يختلف في بعض الأحيان عما شاهدوه ، هذا بالإضافة إلي أنه قد تبين للباحثين أن رؤية الأطفال للأفلام العدوانية يمكن أن يؤدي عندهم إلي أفكار تتسم بالعنف (أي أفكار ذات مضمون عدواني وأيضا إلي استجابات انفعالية ترتبط بالسلوك الإنفعالي العدواني ويصحبها تزايد في ضغط الدم الإنقباضي systolic blood pressure هذا بالإضافة إلي أن الدراسات التي أجريت مع الراشدين قد بينت أن كثرة رؤية مشاهد العنف الجنسي قد تثير أيضا أفكار العدوان الجنسي لديهم مما قد يساعد بدوره علي السلوك العدواني الجنسي والإعتصاب إذا ما توافرت العوامل الأخرى المؤدية إلي هذا السلوك (مالا موث Malamuth ١٩٨٩) .

شكل (٧) تقليد الأطفال للسلوك العدواني

٢ ـ أدلة من الدراسات علي المواقف الطبيعية

يمكننا أن نستخلص من نتائج الدراسات المعملية أن مشاهدة العنف التليفزيوني يمكن أن تؤدي إلي تزايد السلوك العدواني لدي المشاهدين، ولكن لا يصح أن تعمم هذه النتائج علي مشاهدة العنف التليفزيوني في المواقف الطبيعية، ويقصد بها

المشاهدة في حياتهم العادية اليومية في المنزل وليس في المعمل ومع هذا فقد استكملت نتائج الدراسات المعملية بنتائج الدراسات التي أجريت على المواقف الطبيعية والتي قد أثبتت ايضا وجود علاقة إيجابية بين تكرار مشاهدة العنف التليفزيوني وإزدياد السلوك العدواني لدي الأطفال (كومستوك Comstock ١٩٨٠ وايفرا Evra ١٩٩٨) .

وهناك دراستان مثيرتان في هذا الصدد تبينان درجة وجود السلوك العدواني لدي الأطفال قبل وبعد ظهور جهاز التليفزيون ، فقد كانت هناك فرصة لويليامز Williams (١٩٨٦) وزملائها لدراسة سلوك الأطفال في ثلاث مدن كندية كالأتي :

١- مدينة ظلت تستقبل إرسال قناة تليفزيونية واحده لمدة سبع سنوات هي : يونيتل Unitel .

٢- مدينة كانت تستقبل إرسال عدد محطات تليفزيونية لمدة خمس عشرة عاماً هي : ملتيتل Multitel .

٣- مدينة لم يسبق أن وجد بها جهاز تليفزيوني وكانت على وشك أستلامه هي : نوتل Notel [١] .

ولم يسبق لمجتمع "نوتل" استقباله للإرسال التليفزيوني لأن موقعه الجغرافي كان قد أعاق هذا الإستقبال ، هذا وقد تم دراسة سلوك أطفال المدارس الإبتدائية في المدن الثلاثة قبل دخول الإرسال التليفزيوني مباشرة إلي مدينة "نوتل" وأيضا لمدة عامين بعد إدخال هذا الإرسال .

---

(١) في صيف عام (١٩٧٣) كانت هناك مدينة في كندا لم تستقبل ارسالا تليفزيونيا بسبب وجودها في واد منخفض ، لذا قرر عدد من علماء النفس والإعلام دراسة بعض الجوانب النفسية لأطفال هذه المدينة ، وأطلقوا عليها أسما لأغراض الدراسة هو " نوتيل" واستمرت الدراسة علي هذه المدينة فترة ما قبل حصولها علي الإرسال التليفزيوني وما بعده لمعرفة الآثار النفسية المختلفة التي ترتبت علي مشاهدة أطفالها للتليفزيون ، ومن هذه الآثار : التفكير الإبداعي والتحصيل الدراسي ومهارات القراءة ومخاوف الأطفال والسلوك العدواني وغير ذلك ، وكانت هناك مدينة أخري مشابهه لمدينة "نوتيل" في موقعها الجغرافي ولكن أمكن أن يوجه إليها إرسالا تليفزيونيا علي قناة واحدة فقط ، وأطلق عليها لأغراض الدراسة أسم " يونيتيل" .

وقد تم تسجيل السلوك العدواني للأطفال موضع الدراسة عن طريق مدرسيهم وزملائهم وأيضا بواسطة مراقبين تم تدريبهم جيدا لهذا الغرض . حيث قام هؤلاء المدرسون برصد السلوك العدواني للأطفال أثناء لعبهم في فترات الراحة في فناء المدرسة .

وكان من نتائج هذه الدراسة أن أطفال مدينة "ملتيتل" كانوا أكثر الأطفال عدوانية في جميع مراحل الدراسة ، وأطفال مدينة "تونل" أقلها عدوانية ، كما بدأ يظهر لدي هؤلاء الأطفال سلوكا عدوانيا بعد استقبال مدينتهم للإرسال التليفزيوني .

وفي دراسة أخرى لمواقف الحياة الطبيعية قارن فيها "سنتروول" Centerwall (١٩٨٩) بين معدلات جرائم القتل في جنوب أفريقيا والولايات المتحدة وكندا قبل وبعد إدخال التليفزيون إلي هذه البلدان ، وقد تبين وجود تزايد في معدل هذه الجرائم ، ويعزو "سنتروول" هذا التزايد إلي مشاهد جرائم العنف بالتليفزيون ، حيث أتضح ثبات المتغيرات الأخري التي يمكن أن ترفع من هذه المعدلات لجرائم القتل مثل : استهلاك الخمور alcohol consumption والحصول علي الأسلحة النارية / والظروف الاقتصادية ، كما اتضح لسنتروول أن هذا التأثير الخاص بتزايد السلوك العدواني المسبب لهذه الجرائم ينصب علي الأطفال وتظهر آثاره في الأغلب بعد مدة، فقد كانت هناك فترة زمنية تراوحت بين ١٠-١٥سنة بين ظهور التليفزيون وتزايد جرائم القتل .

هذا وبالرغم من ظهور علاقة دالة بطريقة متكررة بين مشاهده الأطفال للعنف التليفزيوني ونمو السلوك العدواني لديهم إلا أن هذه العلاقة أقل بصفة عامة من العوامل الأخري التي يمكن أن تسبب السلوك العدواني عند الأطفال (مثل عوامل التنشئة الوالدية غير السوية مثلا) ، أما في مرحلة الرشد فلم تكن هناك علاقة دالة بين مشاهدة العنف التليفزيوني والسلوك العدواني لدي الراشدين مما يشير إلي أن الأثر تراكمي لمشاهدة العنف التليفزيوني ، فتكرار مشاهدة الأطفال لهذا العنف يمكن أن يؤدي إلي سلوك عدواني عندهم فيما بعد في مراحل المراهقة والرشد (روزنثال Rosenthal ١٩٨٦) .

٣ ـ أدلة من الدراسات الطولية :

من المعروف أن الدراسات الطولية تجري علي عينة من صغار الأطفال ويتتبع الباحث هذه العينة في مراحل النمو التالية ، وقد تبين من هذه الدراسات في

عدد من البلدان المختلفة أن مشاهدة الأطفال الصغار للعنف التليفزيوني يساعد علي ظهور السلوك العدواني والسلوك المضاد للمجتمع في مراحل نمو لاحقة ، وقد أمكن التوصل إلي هذه النتيجة مع عزل العوامل الأخرى[1] إحصائيا والتي يمكن أن تسبب السلوك العدواني مع مشاهد العنف التليفزيونية (باستخدام أسلوب الإنحدار المتعدد multiple regression (هيو سمان وميللر Huesmann & Miller ١٩٩٤) ، كما تبين أن مشاهدة العنف التليفزيوني في مراحل الطفولة فقط هي التي يمكن أن تساعد علي نمو السلوك العدواني في مراحل المراهقة والرشد ، وقد ينمي بعض هؤلاء جرائم التقليد copy cat crimes أي يقلدون ما شاهدوه من عنف في الأفلام التليفزيونية أو السينمائية ضد الآخرين ، ويعرف هذا بالتقليد الشاذ bizarre replication .

هذا وقد أجري "كومستوك" و"بايك" Comstock & Paik (١٩٩١) مقارنات واحصائيات علي نتائج ١٨٥ دراسة مختلفة في الثلاثين سنة الأخيرة ووجدا بأن هناك ارتباطا قويا بين مشاهدة العنف التليفزيوني أو السينمائي ونمو السلوك العدواني عند الأطفال، كما وجد أيضا مثل هذا الإرتباط القوي كل من وود وونج وشاشير Wood, Wong ,Chacher (١٩٩١) .

ثانيا: كيف يمكن أن تؤثر مشاهدة العنف التليفزيوني على نمو السلوك العدواني عند الأطفال :

قلنا فيما سبق أن مشاهدة العنف التليفزيوني تعد من أحد العوامل التي تساهم في نمو السلوك العدواني عند الأطفال ، وقد اتضح هذا من البحوث المعملية والميدانية وأيضا الدراسات التي أجريت في مختلف الثقافات أو عبر الثقافية cross- cultural، ومع هذا فقد أقترح كثيرون منهم بوثا وميلز Botha & Mels (١٩٩٠) بأن الأطفال لا يصبحون كلهم عدوانيون بسبب مشاهدتهم لأفلام العنف - بل إن هناك أطفالا أكثر عرضه من غيرهم لأن يظهر لديهم السلوك العدواني عند مشاهدتهم لهذه الأفلام ، وقد أغري هذا الرأي كثير من الباحثين إلي محاولة الكشف

---

(١) العوامل الأخري مثل : إحباطات الطفولة المتكررة وتعرض الأطفال للقسوة والحرمان الشديدين أو تقليدهم للسلوك الإجرامي الصادر من الآباء أو الكبار، أو وجود عوامل بيولوجية يمكن أن تساعد علي هذا السلوك.

عن هؤلاء الأفراد والتعرف علي العوامل البيئية أو الأسرية والشخصية التي تساعد علي تنمية السلوك العدواني عند الأطفال عند مشاهدتهم لأفلام العنف، كما دفعهم أيضا إلي دراسة الوسائل العملية التي يمكن أتباعها للحد من ظهور السلوك العدواني عند الأطفال بسبب مشاهدتهم لأفلام العنف .

علاقة مشاهد العنف التليفزيونية بالسلوك العدواني : من منظور معرفي اجتماعي خاص بمعالجة المعلومات

يري عدد من أصحاب نظريات التعلم أن السلوك العدواني ينتج عن كل من التعلم الفعلي" enactive learning" (الإثابة أو العقاب لسلوك الفرد) أو " التعلم بالملاحظة" observational learning (ملاحظة سلوك الآخرين وآثاره) هيو سمان Huesmann ١٩٨٨)، وتوضح بحوث باندورا وروس Bandura & Ross ١٩٦١، ١٩٦٣ الرائدة في هذا المجال قوة التعلم بالملاحظة: وهي أن مجرد ملاحظة الأطفال للسلوك العدواني للآخرين قد يدفعهم في ظروف معينة إلي تقليده حتى ولو لم تكن لديهم الفرصة للتدريب علي هذا السلوك أو تلقي تدعيما أو إثابة عنه، ومن المعروف أن التدعيم هو من العوامل الضرورية في تشكيل سلوك الفرد، ومع هذا فقد برزت أهمية التقليد أيضا كمبدأ أساسي في هذا التشكيل لسلوك الفرد[١] ، والطفل الذي يقلد سلوك النماذج العدوانية يزداد تقليده لها عندما تصادف هذه النماذج تدعيما، ويقل اقتداؤه بها عندما تتعرض إلي عقاب، وعلي هذا فالتدعيم يعتبر هاما للتعلم حتى وأن تحقق للنماذج السلوكية التي يقلدها الطفل.

ويرى علماء النفس المعرفي اليوم إننا نتعلم كثيرا من تصرفاتنا في المواقف المختلفة عن طريق تخزين صور نمطية Scripts لهذه التصرفات في ذاكرتنا ، وتزداد هذه الصور ثباتا عن طريق التدعيم والقدوة.

١ـ الصور النمطية *scripts* :

من اعجازات الله سبحانه وتعالي في العقل البشري هو ذاكرة الإنسان والتي من وظائفها أنها تشكل قاعدة البيانات الأساسية لهذا العقل database، كما تحتوى

---

(١) نظرية التعلم بالقدوة في الفصل الأول .

الذاكرة علي كم هائل من المعلومات المتعددة والمتنوعة، ويري علماء النفس المعرفي أنه يمكن تقسيم هذه المعلومات إلي نوعين رئيسيين :

١- علومات عن الأشياء وهي معلومات بيانية أو تقريرية declarative knowledge ومن أمثلتها ما نعرفه من صفات أو خصائص أو بيانات عن الناس والأشياء والبلدان والأحداث ، ونحن نختزن في ذاكرتنا ما نعرفه جيدا من هذه المعلومات علي شكل صور أو نسخ نمطية personal scripts وتساعدنا خبراتنا السابقة والمتكرر عادة علي اكتساب هذه الصور النمطية ، ومن أمثلة الصورة النمطية التي نحتفظ بها في ذاكرتنا : الصديق المخلص ، المراهق الطائش ، النشال ، الشرطي ، الأب المستبد ، الحماه وغير ذلك من شخصيات حيث نري إن لكل منها صفات نتذكرها جيدا[١] .

٢- معلومات عن التصرف أو السلوك أو فعل الأشياء : وهي معلومات إجرائية procedural knowledge وتتضمن كيفية الآداء الفعلي لشئ ما مثلا : كيف نركب الدراجة أو نقود السيارة أو نتكلم في موضوع ما أو نذهب إلي عملنا وغير ذلك من أعمال كلما أديناها أو شاهدنا الآخرين يؤدونها أكتسبنا لها أيضا صورا نمطية في ذاكراتنا تسهل لنا هذا الأداء ، ويتم تخزين هذه المعلومات في الذاكره علي شكل رموز معينة ، وعادة ما تتضمن هذه الصور النمطية تسلسل من التصرفات والأفعال والأحداث المعروفة لنا جيدا، ويصنف "شانك" و"أبلسون" Schank & Abelson (١٩٧٧) هذه الصور النمطية إلي نوعين هما :

(١) **الصور النمطية الموقفية : situational scripts** وهي صور نمطية لمجموعة مسلسلة من أداءات الفرد في موقف اجتماعي معين يتضمن تفاعلا اجتماعيا واشخاصا لكل منهم دور معروف أو يتأثر بالموقف بطريقة معينة .

---

(١) فقد يري البعض مثلا أن الصديق المخلص هو شخص ودود، صادق، حريص علي مصلحة من يصادقه يحافظ علي أمانته كريم معه وغير ذلك من صفات، والمراهق الطائش مثلا قد تكون صورته النمطية في ذاكره البعض أنه: شاب صغير السن، متقلب متسرع في تصرفاته واحكامه يميل إلي التباهي بالتحدث عن مغامراته محب للهو والمرح.. وقد يري البعض مثلا صفات أخرى ، حيث تختلف الصور النمطية من شخص لآخر.

(٢) الصور النمطية الوسيلية أو الأدائية instrumental scripts: وتتعلق بسلوكنا المعتاد لإنجاز عمل ما معين مثل : طهي طعام معين أعتدنا طهيه ، أو اللحاق بحافله ، أوقيادة السيارة أو الدراجة وغير ذلك .

ويلاحظ أن هذا التقسيم ليس حاسما بل قد يكون هناك بعض التداخل بين كل منهم والآخر، فقد تحتوى الصور النمطية للمواقف ايضا على صور نمطية للأشخاص الذين يتضمنهم الموقف .

وعلي هذا فنحن - نتيجة لخبراتنا السابقة ومشاهداتنا للأخرين - نحتفظ في ذاكرتنا بالكثير من هذه الأنواع الثلاث من الصور النمطية للأستفادة منها في أدائنا لأعمالنا المعتادة، حيث نسترجع الصور الملائمة لما نواجهه من عمل أو موقف ما كلما تطلب الأمر ذلك، ويقترح شانك وابلسون (١٩٧٧) صورا نمطية لموقف تناول الطعام بالمطعم ، وتشمل الوقائع والأحداث والتصرفات الخاصة بهذا الموقف مرتبة في ذاكرتنا بطريقة رمزية ذات شفرات codes معينة ، وهي تشمل الآتي :

(أ) شخصيات : زبون ، جرسون ، مدير المطعم ، الشخص المكلف باستلام النقود من الزبائن (أو المحاسب) ، الطاهي .

(ب) المواقف : ويمكن أن تتضمن مثلا هذه المشاهد :

المشهد (١) الدخول في المطعم : الزبون يذهب إلي المطعم ، الزبون يبحث عن منضده خالية للجلوس عليها ، ويمكن أن يجدها بنفسه أو بمساعده الجرسون إذا ما كان المحل مزدحما .

المشهد (٢) طلب الطعام : يتلقي الزبون قائمة الطعام، الزبون يقرأها ويقرر ماذا سيأكل، يطلب الجرسون، يري الحرسون الزبون، يسير نحو منضدته ويقف عندها، يطلب منه الزبون ما يريد من الطعام ، الطاهي يعد الطعام .

المشهد (٣) تناول الطعام : بعد فترة قصيره من الوقت يحضر الجرسون الطعام من الطاهي، يأكل الزبون الطعام .

المشهد (٤) الخروج من المطعم : يسأل الزبون عن الشخص المكلف بالمحاسبة ، يحضر هذا الشخص إلي الزبون ، ويأخذ ثمن الطعام ، يغادر الزبون المطعم .

وهكذا نحن نحتفظ في ذاكرتنا بتصور نمطي ذاتي لمحتويات المواقف الخاصة بأعمالنا ، وسلوكنا يتم في هذه الأعمال وفقا لإسترجاعنا لعناصر الموقف كما هو في الصور النمطية الموجودة في ذاكرتنا . كذلك الطفل يحتفظ في ذاكرته بصور نمطية لما اعتاد أن يؤدية من أعمال في مواقف الجد أو اللعب مثل : أعداده لكتبه وملابسه وذهابه إلي المدرسة أو لعبه مع زملائه ، وردود افعاله لتصرفاتهم معه فإذا اختطف مثلا زميله منه شيئا أثناء اللعب في فناء المدرسة أو ضربه رد عليه بتصرفات يعرفها جيدا ولها صور نمطية في ذاكرته.

والخلاصة أن علماء النفس المعرفي يقولون بأن هذه الصور النمطية تساعدنا علي آدائنا للكثير من تصرفاتنا الإرادية المعتاده في المواقف الإجتماعية، فباسترجاعنا لأحداث الموقف الإجتماعي (من سلوك وتوقعات عن تصرف الآخرين) من ذاكرتنا نقدم علي السلوك الذي نراه مناسبا، وكثيرا ما يتم هذا الإسترجاع بطريقة آليه وفورية، كما أن هذه الصور النمطية قد توجه احيانا طريقة معالجتنا للمعلومات الجديدة التي نتلقاها، فنحن نميل عادة إلي الإحتفاظ بالمعلومات الجديدة التي تتفق أو تؤيد الصور النمطية الموجودة لدينا ، وقد نتجاهل أو نحرف كل ما هو غير مناسب لها .

مشاهد العنف التليفزيونية ونظرية الصور النمطية : *scripts theory*

جلس الأصدقاء العاطلين الثلاثة أما الشاشة الفضية يتابعون أحداث الفيلم الأمريكي المثير الذي يقدم مغامرات عصابات المافيا،غادروا السينما وهم مشدوهين، اعتراهم الصمت .. أحداث الفيلم لعبت برؤوسهم، كل واحد منهم تخيل نفسه بطلا يستطيع أن يهزم مائة رجل بقبضة يده، جلسوا علي مقهي يحتسون الشاي وجيوبهم فارغة من المال، شعروا بحاجتهم إلي التدخين لكنهم لا يملكون شراءه ، خرج أحدهم عن صمته والقي بفكرته علي زملائه التي لم تكن جديدة عليهم فقد سبق أن لجأوا إليها عدة مرات .

خرجوا إلي طريق "ثاني" اشار أحدهم إلي سيارة "ميكروباص" محمله بالركاب ، ركبوا معهم ، لم تمضي لحظات حتي اشهروا أسلحتهم البيضاء في وجوه الركاب الذين استسلموا للرعب ، أمرهم اللصوص الثلاثة بإخراج ما معهم

من أموال ومصوغات، حاول أحد الركاب التفاهم معهم فنال طعنه في ذراعه، ثم تركوا السيارة بعد أن سرقوا ركابها .

أدي كل من هؤلاء المجرمين الثلاثة مهمته أو دوره في الجريمة - وكأنه يحفظه أو كما يؤدي أي شخص ما عملا أو مهنة وظيفية - حيث تمت تصرفاتهم علي خطوات أو مراحل متتالية في موقف أجتماعي تضمن أشخاصا وتفاعلات من نوع معين ، ويمكن القول بأن كل من هؤلاء المجرمين الثلاثة كان قد احتفظ في ذاكرته - وفقا لجرائمه السابقة المشابهة - بصور نمطية تتضمن سلوكه فيما يتعلق بدوره في الجريمة ، والأشخاص المفترض وجودهم في الموقف كزملائه أو الضحايا وأيضا توقعاته عن تصرفاتهم ورده علي هذه التوقعات . فمثلا عندما أعترض أحد الركاب أو حاول التفاهم معهم تلقي طعنه أسكتته ، وكأن الجاني الذي طعنه حاسب آلي مبرمج علي نظام تدميري معين .

ويري علماء النفس المعرفي أن كثيرا من الصور النمطية للمواقف يكتسبها الإنسان في مراحل مبكره من حياته من خلال عمليات متعددة كمشاهدته للآخرين أو التعلم بالقدوه أو تدعيم سلوكه أو نتيجة كثرة تعرضه لمواقف متشابهه وهم يرون كذلك أن كثرة رؤية مشاهد العنف التليفزيونية أو السينمائية يمكن أن تؤدي - في ظروف معينة - إلي تكوين صور نمطية للمواقف العدوانية في ذاكرة بعض الأطفال، أي تكوين أفكارا عن نوع الحركات وتسلسلها التي يمكن ادائها عند الأعتداء علي الآخرين، وهي تخزن في ذاكرة الطفل إلي أن يحين الوقت الذي يستخدمها فيه كي يحل بها مشكلاته، وقد توجه سلوكه العدواني إذا ما اضطرته الظروف لذلك . ويقول "أفرا" Evra (١٩٩٨) " أن كثيرا من المشاهدين لا يتدربون علي العنف في حياتهم الواقعية ومع هذا فقد يكون بعضهم صورا نمطية العدوان بسبب رؤيتهم فقط لمشاهد العنف التليفزيونية ، وهناك شواهد متعددة علي هذا، وقد استخدم الأطفال الأمريكيون الأسلحة النارية في قتلهم زملائهم في المدرسة، ولعل من الأسباب التي أدت إلي هذه الجرائم انتشار الأسلحة النارية هناك إلي جانب كثرة مشاهد العنف التليفزيونية التي يستخدم أبطالها الأسلحة النارية ، ويلاحظ كذلك أن بعض الأطفال الذين يكونون صورا نمطية للعدوان يحافظون عليها عن طريق

اللجوء إلي أحلام اليقظة[1] ، إذا يتصورون انفسهم أبطالا لا مثيل لهم كأبطال المواقف العدوانية التي يشاهدونها، ويكثر هذا عادة بين الأطفال الذين يتخذون من أحلام اليقظة وسيلة للتعويض الخيالي بسبب ما يشعرون به من نقص ، وقد تبين من دراسة أجريت علي عدد من البلدان هي :

بولندا وفنلاندا واستراليا والولايات المتحدة أن أكثر الأطفال مشاهده للبرامج التليفزيونية التي تتميز بالعنف هم أيضا أكثرهم لجوءا إلي أحلام اليقظة ، وكانت موضوعات هذه الأحلام تدور حول العدوان والأعمال البطولية ، كتصور الطفل نفسه مثلا بطلا مغوارا ينقذ الضعفاء المظلومين ويصرع المجرمين الأشرار " .

ولكن كيف يسترجع الطفل هذه الصور النمطية المخزونة في ذاكرته لمواقف العدوان (والناتجه عن تكرار مشاهدته لمواقف العنف التليفزيونية) كي يستخدمها ؟ أي كيف يسلك بطريقة عدوانية مشابهة لهذه الصور ؟

هنا يري "هيوسمان" (١٩٨٦) وأيضا بيركويتز Berkowitz (١٩٨٤) أنه ليس كل الأطفال الذين يشاهدون برامج العنف التليفزيونية يحتفظون في ذاكرتهم بالصور النمطية لمواقف العنف أو يلجأون إلي السلوك العدواني في حياتهم الإجتماعية بل أن هناك عددا من العوامل التي يتوقف عليها حدوث هذا الإسترجاع وهي أيضا نفس العوامل التي تساعد علي تكوين الصور النمطية ، ويمكن تقسيمها إلي عوامل موقفية بيئية ، وهي المتعلقة بالبرامج التليفزيونية أو بيئة الطفل المنزلية ، وعوامل شخصية في الطفل نفسه مثل سماته الشخصية وقابليته للانفعال وتفسيره لمشاهد العنف التليفزيونية ، هذا ويجب أن نعي جيدا أن الأطفال المهيئين للعدوان بسبب تفاعل الجوانب البيولوجية والتعلمية التي عرضناها في بداية هذا الفصل هم أكثر عرضه من غيرهم إلي تكوين الصور النمطية للعدوان . وسوف نناقش هنا العوامل التي تساعد علي تكوين الصور النمطية واسترجاعها لدي هؤلاء الأطفال :

---

(١) أحلام اليقظة وتخيل العدوان أحد الردود الفعلية التي يلجأ إليها الطفل بسبب ما يشعر به من احباط .

أ ـ العوامل الموقفية والبيئية :

وتنقسم هذه العوامل بدورها إلي ثلاثة عوامل فرعية يمكن أن تؤثر علي ظهور السلوك العدواني عند الطفل هي : مدي بروز مشاهد العنف في البرنامج التليفزيوني والعوامل المنزلية الأسرية ثم العوامل الخاصة بتأثير وجود الآخرين أثناء هذه المشاهد .

١ - مدي بروز مشهد العنف التليفزيوني :

أن انتباه الطفل لمشهد العنف التليفزيوني ضروري كي يحتفظ بصوره من هذا الموقف في ذاكرته، وقد بينت البحوث أنه كلما كان مشهد العنف واضحا ومتميزا بالحركة والضجيج والمناظر والاصوات الملفتة للأنظار كان هذا أكثر لفتا لانتباه الطفل، هذا بالإضافة إلي أن نطق الكلمات المعبرة عن العدوان في البرنامج يمكن أيضا أن يثير ما يرتبط بهذه الكلمات من أفكار وسلوك وانفعال عند الطفل، ويلاحظ هذا مثلا في مسلسل تليفزيوني أمريكي يعرف ببرنامج باتمان Batman يتميز بمشاهد العنف ، وهوحافل بكلمات مسموعة وايضا مرئية بحروف كبيرة ملونه مثل أسحق، أضرب ، الكم SOCK. BAM, POW .

هناك من يقول بضرورة وجود قدر معين من المشاهد العدوانية في أي فيلم سينمائي أو تليفزيوني كي يجذب انتباه الأطفال ولكن اتضح من الدراسات أن خصائص البرامج التليفزيونية وما تتميز من حركة وتأثيرات سمعية وبصرية هي التي يمكن أن تشد انتباه الأطفال بصرف النظر عن محتواها، كما أن أصوات الأطفال والنساء والموسيقي الجميلة وكذا المناظر الهزلية المضحكه يمكن أن تحافظ أيضا علي اهتمام الأطفال بالبرنامج التليفزيوني (هستن ورايت Huston & Wright ١٩٨٩، أيفرا Evra ١٩٩٨).

٢ - البيئة الأسرية :

قد يكون للأباء المجرمين العدوانيين ايضا أبناء جانحون عدوانيون وبخاصة إذا ما كان هؤلاء الأباء متسلطين، فالآباء العدوانيون المغرورون أو المتكبرون الذين يميلون إلي فرض نظامهم علي الأبناء بالقوة- يعلمون أبناءهم (دون أن يدروا) أساليبهم التعسفية في حل المشكلات، ويقول "دافيز" Davis (١٩٤٤)إن

الأباء الذين يعاقبون أبناءهم بعنف هم في واقع الأمر يعلمون أطفالهم كيف وما هي الظروف التي يمكن فيها للشخص أن يعتدي، فمثل هؤلاء الأباء قدوه لأبنائهم، إذ قد يتعلم الأطفال منهم التسلطية عن طريق التقليد، ويفضلون اللجوء إلي القوة كي يشبعون حاجاتهم ودوافعهم .

هذا بالإضافة إلي أن البيئة الأسرية التي يشبع فيها السلوك العدواني تهيئ الفرصة للطفل كي يكون ويحتفظ في ذاكرته بصور نمطية للمواقف العدوانية aggressive scripts، وإلي جانب هذه الصور النمطية يتشرب الطفل ايضا معايير وسلوك الجماعة التي يعيش فيها والتي تقوم علي العدوانية، فقد يري مثلا أن كل فرد في هذه الجماعة يسلك بعدوانية كي يحصل علي حقوقه أو يدافع عن نفسه، وهذا المناخ الأسري يسهل من تكوين الصور النمطية العدوانية عندما يشاهد الطفل المواقف العدوانية في برامج التليفزيون ، لأن هذه المواقف تتفق مع واقع حياته وأفكار الجماعة التي يعيش فيها، والتي تفضل العدوان كوسيلة مثلي للتعامل الناجح مع الآخرين، علي أن هذا الأسلوب يجعل الطفل مكروها من زملائه بالمدرسة مما لا يساعده علي التكيف الاجتماعي الناجح ويضر بصحته النفسية (هيوسمان وزملاؤه ١٩٨٤) .

٣ - تعليقات الآخرين أثناء مشاهدة الطفل للتليفزيون :

اتضح من الدراسات أن رد فعل الطفل لمشاهد العنف التليفزيونية يتوقف علي تصرفات الأشخاص الذين يجلسون معه أثناء رؤيته لها : فإذا ما وجد استحسانا أو تشجيعا من هؤلاء الأشخاص علي هذه المشاهد استحسنها هو الآخر ووجد فيها شيئا مطلوبا ، وقد يشمئز منها إذا ما أظهر الآخرون أستياءهم ، وحتي الكبار قد يتأثرون ايضا بتعليقات الآخرين ، ففي دراسة لطلاب أحدي الجامعات كانوا يشاهدون فيها مباراة للملاكمة قسموا فيها مجموعتين : مجموعة كان يجلس معها أفراد صامتون اثناء المشاهده وأخري جلس معها أفراد أظهروا حماسا وابدوا تعليقات تؤيد العدوان مثل : " أديله كمان" "أضرب" "هايل"، وبعد هذه المباراة تم قياس درجة السلوك العدواني في المعمل عند كل من هاتين المجموعتين، وقد تبين أن المجموعة التي تعرضت لسماع التعليقات المؤيده للعدوان كانت تسلك بعدوانيه أكثر من الأخري (أفرا Evra ١٩٩٨) .

وكما تزيد تعليقات الآخرين من عدوانية الطفل أثناء مشاهدته لبرامج العنف التليفزيونية فإنها يمكن أيضا أن تقلل من هذه العدوانية ، فإذا ما أظهر الراشدون أستياءهم من أساليب العنف التي تتبعها شخصيات القصة التليفزيونية وأوضحوا للطفل أن العدوان والشر لا يفيدان في حل المشكلات ، قل تأثر الطفل بالمشهد العنيف ، وتعرف عملية التعليق المفيدة هذه من الكبار التلطيف mediation .

وقد أجريت دراسة عن تأثير عرض مسلسل أمريكي يعرف باتمان Batman تتسم أحداثه بالعنف والقتل والتحطيم علي عينة من الأطفال تراوحت اعمارهم من ٥ - ١٠سنوات ، وقد قسم الأطفال مجموعتين : أحداهما تلقت تعليمات محايده عن وقائع المسلسل ، أما الأخري فقد تلقت تعليقات توضح وقائع المسلسل وتحبذ الخير وتنبذ الشر ، وتفيد بأنه من الخطأ الإعتداء علي الآخرين ، وقد اختلفت هذه المجموعة التي استمعت إلي نصائح الكبار عن المجموعة الأولي في أنها لم تحبذ الضرب وإيذاء الآخرين كوسيلة لحل المشكلات (كوردر وبولز Corder & Bolz ١٩٨٠) .

(ب) العوامل الشخصية :

يمكن تقسيم هذه العوامل إلي عوامل أخري فرعية هي: عوامل تتعلق باستعدادات الطفل وسماته الشخصية وأخري خاصة بتفسيره للموقف ثم عوامل تتعلق بجنس الطفل، ويمكن بيانها كالأتي :

١ـ الاستعدادات الشخصية للطفل :

يري الباحثون أن الأطفال الذين لديهم استعدادات جينية predispositions genetic للسلوك العدواني هم في العادة أكثر من الأطفال العاديين ميلا إلي تكوين الصور النمطية العدوان، وتزداد فاعلية هذه الاستعدادات عند الطفل إذا ما وجدت الظروف البيئية المشجعة علي العدوان- كما ينادي بهذا أصحاب نظرية تفاعل البيئة والوراثة genotype-environment interaction theory - حيث ينقل الآباء السلوك العدواني إلي أطفالهم بفعل الوراثة والبيئة معا ويشب الطفل ميالا للأعتداء والتشاجر والإنتقام والمشاكسة والتحدي .

كما أن اتجاهات الطفل نحو العدوان هامه في تقرير مدي تأثره بمشاهدة العنف التليفزيوني وتكوين الصور النمطية الخاصة بالعدوان واسترجاعها من ذاكرته وكذا استخدامها ، فإذا ما اقتنع طفل ما مثلاً بأن السلوك العنيف كالذي يراه بالتليفزيون هو التصرف المناسب للتغلب علي العوائق أوحل المشكلات - فإنه سوف يكون الصور النمطية لهذا السلوك في ذاكرته ويستخدمها عند مواجهته موقف صراع مع الآخرين .

وفي دراسة أجراها "ديليوتي" Deluty (١٩٨٣) علي عينة من الأطفال العدوانيين اتضح له فيها أن هؤلاء الأطفال يعتبرون أن العدوان هو أفضل الحلول في صراعهم أو حل مشكلاتهم مع الآخرين ، فالشخص الذي يحل مشكلاته بالعنف هو في رأيهم شخص : قوي ، حكيم ، شجاع ، ناجح ، بينما كان يراه الأطفال غير العدوانيين أنه شخص : أهوج ، غير عاقل ، غير ناضج ، أحمق ، كما أقر الأطفال العدوانيون أنهم يستطيعون بالقوة أبعاد الآخرين عن طريقهم وأن يكسبوا بهذه الوسيلة أحترام زملائهم، والأطفال العدوانيون أكثر تصديقا لأفلام العنف من زملائهم غير العدوانيين .

٢- تفسير المشهد العنيف :

يلعب النمو المعرفي دورا هاما في عملية معالجة المعلومات وقدره الطفل علي فهم وتفسير المشهد العنيف ، وكلما كان الطفل صغيرا قلت قدراته علي تفسير التصرفات والمواقف وإدراك السلوك المناسب اجتماعيا ، فالأطفال الصغار مثلا لا يستطيعون أن يقيموا أي موقف ما من عدة زوايا أو جوانب ، فقد يري بعضهم أن الشخص العدواني الذي يتصرف بعنف أنه علي حق ، ولأن قدراتهم المعرفية لا تمكنهم أحيانا من التمييز بين الواقع والخيال - فهم أكثر اعتقادا من غيرهم من الأطفال الأكبر سنا بأن ما يرونه من مشاهد عنف ما هو إلا مواقف حقيقية ، كما أن بعضهم قد يتوحد أحيانا مع الشخص المعتدي، أي يتخيلون أنفسهم وكأنهم أبطال مواقف العنف التي يشاهدونها ويقلدون هؤلاء الأبطال الخياليين في حركاتهم وملبسهم دون وعي منهم بذلك، وهذا الإعجاب يساعد إلي حد ما علي تكوين الصورة النمطية لمواقف العدوان وتخزينها واسترجاعها .

ومما يسهل تكوين هذه الصور النمطية عند هؤلاء الأطفال الصغار أنهم لا يقدرون تماما عواقب السلوك العدواني أو خطورته، وهكذا بالنسبة للأطفال الكبار ضعاف العقول ، فكل من هاتين الفئتين من الأطفال صغار السن أو ضعاف العقول لا يستطيعون تمييز الأخطار .

هذا ويؤكد "لين" وزملاؤه lynn et al (١٩٨٩) وأيضا "افرا"(١٩٩٨) ازدياد السلوك العدواني عند الأطفال منخفضي الذكاء مع كثرة رؤيتهم لمشاهد العنف وأنهم أكثر عرضة لتكوين هذه الصور النمطية العدوانية من الأطفال الأذكياء ، لأن هؤلاء الأطفال الأذكياء يحللون موقف المشهد التليفزيوني العنيف من عدة أبعاد وهم يدركون جيدا عواقب التصرفات العدوانية ، ولا يتعرضون للأغراء بسهولة كالأطفال الأغبياء . علي أن هناك حدودا لتأثر الأطفال ضعاف العقول بمشاهد العنف التليفزيونية، ففي حالات التخلف العميق أو البله قد لا يفهم الطفل محتوى المشهد التليفزيوني العنيف بالمره وبالتالي لا يستطيع أن يكون صورا نمطية عدوانية له ولا لغيره من المشاهد، أما في حالة التخلف العقلي البسيط ففيها يميل الطفل ايضا إلي الأعتقاد بأن المشهد واقعي ، وهذا الأعتقاد من شأنه أن يسهل تكوين الصور النمطية العدوانية .

وقد تؤثر الحالة الإنفعالية علي أنتباه الطفل نحو المشهد العنيف ، فالطفل الذي يشعر مثلا بالإحباط أو الذي يعترية انفعال الغضب عندما يري هذا المشهد قد يركز انتباهه علي نطاق ضيق من المثيرات المتضمنة فيه وبخاصة تلك المرتبطة بموضوع انفعاله كالعراك نفسه أو القتال ، وهو لذلك لا يهتم بالعوامل الأخري التي أدت إلي الموقف العدواني أو التي ساعدت علي أنهائه، وهذا التركيز من شأنه أن يساعد علي تكوين صور الموقف العدواني واختزانها في ذاكرته .

٢ـ الجنس :

يفضل الأولاد مشاهدة برامج العنف عادة أكثر من البنات ، وهم يثارون أحيانا عندما يشاهدون هذه البرامج بعكس البنات اللاتي قد يشعرن ببعض الخوف أو الحزن أو يعرضن عن المشاهده ، ومع أنه قد تبين في بعض الدراسات أن كلا من البنين والبنات يزيدون من سلوكهم العدواني عقب رؤيتهم للمشاهد التلفزيونية

العنيفة - إلا أنه قد اتضح ايضا من دراسات أخري أن الأولاد فقط وليس البنات - هم الذين يزداد لديهم السلوك العدواني عقب رؤيتهم لهذه المشاهد (جوي وزملاؤه Joy et al ١٩٨٦) .

ويري الباحثون أن هناك عددا من الأسباب توضح لماذا يتأثر الأولاد أكثر من البنات بمشاهد العنف التليفزيونية منها :

أن التصرفات العدوانية العنيفة عادة ما يقوم بها الذكور في هذه المشاهد وقلما تتم بمعرفة الإناث اللاتي عادة ما يكن ضحايا لهذه التصرفات ، والأولاد المشاهدون يتوحدون عادة بالذكور ، هذا بالإضافة إلي أن الأولاد هم عادة أكثر اندفاعا وأقل ضبطا لذواتهم من الإناث في تصرفاتهم (أيفرا ١٩٩٨) .

ثالثا : الإجراءات التي يمكن إتخاذها للحد من هذه المشكلة :

وقبل أن نوضح هذه الإجراءات نؤكد علي أن مشاهد العنف التليفزيونية هذه هي فقط أحد عوامل نمو السلوك العدواني أو نمو الصور النمطية للعدوان، فإذا ما كان أفراد الأسرة مثلا يتصرفون دائما بعدوانية فلن يفيد الأقلال من تعرض الطفل لهذه المشاهد، بل يجدر الأهتمام في هذه الحالة بالإقلال من سلوك الأسرة العدواني لأن أفرادها هم النماذج العدوانية التي يقلدها الطفل، وعموما يمكن حصر هذه الإجراءات في الأتي :

١- الإدارات الإعلامية :

من الواضع أنه كي يقل تعرض الأطفال للأفلام التي تحتوى علي مشاهد العنف التليفزيونية يجب تخفيض أنتاج هذه الأفلام أو الحد منها، ولكن يري ارون Eron (١٩٨٦) أن هذا غير ممكن لأن هذه الإدارات في بعض الدول غير واثقة تماما بأن مشاهد العنف التليفزيونية هي المسئولة عن سلوك الأطفال العدواني، بالإضافة إلي أن هذه المشاهد تساعد علي جذب الجمهور نحو البرامج أو الأفلام التليفزيونية التي تتضمنها، ومع هذا فقد كانت هناك بعض صيحات التحذير من مشاهد العنف التليفزيونية في بعض الدول الأوربية وكندا والولايات المتحدة للإقلال من جرائم العنف التي انتشرت في هذه البلدان، وقد وجهت هذه الصيحات إلي الحكومات والمسؤولين عن صناعة أفلام العنف التليفزيونية.

كما طالب بعض المفكرين بأن يكون هناك تحذيرات من المذيعين إلي الجمهور قبل عرض هذه الأفلام تفيد بأنه يمكن أن تؤدي إلي سلوك عدواني أو إلي إزدياد هذا السلوك عند الأطفال (وذلك علي غرار التحذيرات الخاصة بإعلانات السجائر والتدخين، ويستثني من هذه التحذيرات أفلام الكارتون العنيفة الخاصة بالأطفال لأنها ليست لها مثل هذه الأخطار.

ولعل من أبرز أمثله غضب الناس علي أفلام العنف التليفزيونية أنه قد وقع ما يزيد عن مليون شخص في كندا علي التماس موجه إلي الحكومة لإصدار قانون يحد من هذه الأفلام ونتيجة لذلك صدرت هناك بعض القوانين عام (١٩٩٣) بالأتي:

(أ) منع مشاهد العنف التي ليست لها ما يبررها أو غير الضرورية في الأفلام (وكانت تشكل تقريبا ٧٠% من جملة مشاهد العنف التليفزيونية) والتي إذا حذفت من أحداث الفيلم فلن يتأثر ، أي يمكن الاستغناء عنها .

(ب) منع البرامج التي بها مشاهد عنف ضد النساء أو الأقلية .

(ج) وضع بعض المبادئ فيما يتعلق ببرامج الأطفال منها : إلا يكون العنف هو الوسيلة الأساسية لحل المشكلات، ويجب أن يوضح للأطفال عواقبه الضارة.

وقد تشكلت لجنة من اتحاد المذيعين الكنديين للتأكد من تطبيق هذه المبادئ واحترامها ، وكان من سلطاتها منع تجديد تراخيص الشركات التليفزيونية التي لا تراعي هذه المبادئ ، ومع هذا فقد استاءت شركات صناعة الأفلام التليفزيونية من هذه القرارات واعتبرها انتهاكا لحقوقها في حرية الإنتاج ، وأدعت أن الأسرة هي المسئولة عن السلوك العدواني للطفل وليست مشاهد العنف التليفزيونية (هاريس Harris ١٩٩٣) .

٢ـ الأباء :

مهما اتخذت الحكومة أو شركات صناعة الأفلام التليفزيونية من إجراءات للحد من مشاهد العنف التليفزيونية فإن هناك مسئولية تقع علي عاتق الأباء للحد من أضرار هذه المشاهد، فيجب عليهم مثلا عندما يجلسون مع الأبناء أثناء عرضها إن يظهروا عدم استحسانهم للعنف ويبينون انه غير واقعي لحل المشكلات ويقترحون الأساليب الفعالة لحلها .

وهناك من الآباء من يلجأ إلي تحديد الساعات التي يجلس فيها الأطفال الصغار أمام التليفزيون ، ولكن هناك أيضا من يري منهم أن في هذا التحديد نوع من التسلط الأبوى الذي عادة ما يترك آثارا سلبية علي الطفل ، منها احساسه بتقييد حريته وبازدياد السيطرة عليه من جانب الآباء ، لذلك فمن الأفضل أن يتيح الأبوين للطفل الفرص الكافية للعب والأنشطة الترويحية الأخرى وفي ذلك تحديد بطريقة غير مباشرة للساعات التي يجلس فيها أمام جهاز التليفزيون ، وذلك بالإضافة إلي أن لعب الأطفال يساعدهم علي تنمية قدراتهم الاجتماعية علي التفاعل مع الأقران والتغلب علي مشاعر الإحباط كما سنوضح هذا في فصل اللعب والتليفزيون .

ويقول كيوبي (١٩٩٦) " إن هناك من علماء النفس من يؤيد بعض الآباء الذين يروا أن تدخل الآبوين للحد مما يشاهده الطفل في التليفزيون عملا تحكميا لا مبرر له ، ويعتقد هؤلاء العلماء أن التليفزيون ليس بالشئ الخطر كالنار مثلا أو المياه العميقة التي يخشي علي الطفل منها ، وهم ينتقدون كل إتجاه معاصر يدعو إلي مراقبة البرامج التليفزيونية حتى لا يتأثر بها الأطفال .

ويرون في هذه المراقبة مبالغة في تصوير خطوره التليفزيون ويستشهدون ببعض الدراسات القديمة التي أجريت علي المراهقين والشباب" ويستطرد كيوبي " ويمكنني الرد علي هؤلاء وعلي الآباء الذين يقولون بأنهم قد شاهدوا كثيرا من أفلام العنف وهم صغارا ومع هذا فلم يتأثروا أو يتعرضوا لأي ضرر نفسي بهذه النقاط :

١- ربما يكون هؤلاء الآباء قد تأثروا بالفعل بمشاهد العنف دون أن يدروا ثم تبلد لديهم هذا التأثر أو الإحساس فيما بعد desensitized أيضا بطريقة غير معروفة.

٢- أن أفلام العنف التي نشاهدها اليوم ويراها أطفالنا تفوق بكثير في عنفها وبشاعتها ما كان يعرف من أفلام عنف من ١٥-٢٠ عاما مضت في التليفزيون أو في دور السينما، فهناك حاليا مثلا مشاهد تقطع فيها إجسام الناس أو تفصل فيها رؤوسهم ويتم عرضها بحركات بطيئة وبطريقة

تفصيلية ودقيقة بحيث تبعث علي الإزعاج ، ومشاهد أخري كالقتل الجماعي الذي تم في بعض الحروب الحقيقية للنساء والأطفال ، وفيها تحاول النساء الهرب وهن في حالات هلع شديد ولكن دون جدوي .

٣- تعرض أيضا الأخبار أحيانا مشاهد حيه لعمليات القتل والتدمير والتي قد تسبب الخوف لبعض الأطفال ، ومن هذه المشاهد مثلا خطف رجل يدعي "بولي كلاس" من كاليفورنيا وقتله وتمثيل الجناه بجثته ، وذبح سيده تدعي "ديانا سميث" لاثنين من أطفالها الصغار في جنوب كاليفورنيا ، وقد تم عرض ذلك بطريقة تبث الرعب في قلوب اطفال كثيرين .

٤- لم يعد هناك ما يؤكد بأن الطفل لن يفاجأ في أي وقت ما بمشاهد لا تناسبه علي الإطلاق كتلك التي تحتوى علي الرعب أو العنف ، كما أن المناظر الجنسية الخليعة أصبحت الآن تجبر كثيرا من الآباء علي أن يمسكوا بآلة تشغيل جهاز التليفزيون (الريموت كنترول) كلما جلسوا لمشاهدته مع أطفالهم ، ويحكي أحد الآباء الكنديون بأنه بينما كان يشاهد مع أطفاله يوما فيلما تليفزيونيا طريفا عنوانه " الساحر والنمر" وخلال فترة الراحة وأثناء عرض بعض الإعلانات فوجئ بالإذاعة التليفزيونية تبث مشهد : " أطفال يقتلون أطفال" Kids Killing Kids وقد ظهرت هذه الكلمات بحروف كبيرة علي شاشة التليفزيون ، وبعد أن نطق المذيع بهذه الجملة ظهر أطفال محمولون علي نقالات تسيل دماءهم بغزاره بسبب جروح عميقة في رقابهم وأماكن حساسه من أجسامهم ، وكانوا في قسم الطوارئ بأحدي المستشفيات ، وهنا سألني أبني وقد أعتراه الفزع : هل صحيح يا أبي أن الأطفال يقتلون أطفالا ؟" .

ويقول كيوبي " أنه لا يصح أن يشرف الآباء باستمرار علي أطفالهم لأن ذلك أسلوب عقيم في التنشئة ولكن المطلوب هو بعض الحذر أو اليقظة من جانب الآباء، لأن عروض التليفزيون اليوم تختلف عما كانت عليه منذ ثلاثين أو أربعين سنة مضت " .

خلاصة نظرية الصور النمطية فى العنف التليفزيونى :

ويمكن أن تستخلص الآتي مما سبق :

١- إن الأطفال العدوانيين قد يصبحون فيما بعد راشدين عدوانيين .

٢- إن الطفل – في ظروف معينة – قد يكون في ذاكرته صورا نمطية للسلوك العدواني aggressive scripts نتيجة لسلوكه بعدوانية أو ملاحظته للسلوك العدواني للآخرين (التعلم بالملاحظة observational learning) في المواقف الواقعية أو في مشاهد العنف التليفزيونية أو السينمائية)، وترجع أهمية مشاهد العنف التليفزيونية إلي أنها كثيرة الظهور أمام الطفل، فهي متكررة وفي متناول يده ، فإذا ما توافرت العوامل الآخري البيولوجية والشخصية والاجتماعية سهل هذا علي الطفل تكوين الصور النمطية للسلوك العدواني واستخدامها أي استرجاعها والسلوك وفقا لها عندما يتعرض لمواقف مثيرة تدفعه نحو العدوان، ويتضح هذا في الحالات التالية:

(أ) عندما يكون السلوك العدواني سائدا بين أفراد الأسرة .

(ب) إذا كان الطفل ذاته سريع الغضب والإستثارة لأسباب نفسية أو فسيولوجية .

(ج) في حالة صعوبة فهمه لمحتوى البرنامج المتضمن لمشاهد العنف بسبب عدم نمو قدراته المعرفية بطريقة تمكنه من تفسير تصرفات الأفراد في المشهد التليفزيوني العنيف ونواياهم .

(د) عدم تمييزه لعواقب السلوك العدواني واعتقاده بأنه هو الوسيلة الواقعية الصحيحة لحل المشكلات بين الناس ، ويظهر هذا مع إنخفاض مستوى الذكاء .

٣- يفيد التدخل بإجراءات وقائية – سواء من جانب الاجهزة الإدارية المسئولة عن صناعة الأفلام أو الآباء – للحد من السلوك العدواني لدي الأطفال .